صناعة الدخان بفلسطين

مما لا يختلف فيه اثنان أن ثروة البلاد ترتكز على ثلاثة أركان متينة الدعائم وهي الصناعة والزراعة والتجارة وفلسطين فقيرة في الصنائع وسبب ذلك جمود العصر الماضي وعدم التفات الحكومة الى تنشيط الصناعة لاسباب متفاوتة نغفل ذكرها لانه يصدع السمع ويجلب الدمع فلما وضعت الحرب أوزارها واحتل الانكليز البلاد أو بعبارة ادق تدبروا لادارتها كان الاهالي يقاسون غمرات الموت مما تحملوه في سني الحرب من الجوع والتشتيت والعري والاضطهاد والشنق الخ ولما تنفسوا الصعداء ولموا شعثهم هبوا دفعة واحدة لاصلاح ما أفسده الدهر أو أفسدته المظالم واخذوا يتنسمون حرية العمل وحرية القول والكتابة ونشطوا الى الاعمال وخاضوا ميدان الصناعة وسنفرد مقالا خاصاً في الاعداد القادمة للصناعة بفلسطين وخصصنا مقالنا اليوم لصناعة الدخان لاهميتها فنقول .

عند ما ألفت حكومة فلسطين شركة حصر الدخان جعلت تجارته حرة في البلاد وأباحت زراعته بقيود وشروط محدودة فنشط بعض الوطنيين أفراداً وشركات لمجاراة الارمن واليونان والاتراك في هذه الصناعة أي صناعة الدخان والسجاير التي هي أروج تجارة وأوفرها ارباحاً. فقام حضرة النشيط الهمام الخواجه عبدالله حزبون وانشأ في القدس محلا للسجاير والدخان عام ١٩٢١ بمساعدة نجله الاديب النشيط والوطني الصادق أنطون أفندي

وقام بعض الوطنيين الافاضل الغيورين على مصلحة البلاد في نابلس وانشأوا شركة وطنية خالصة

وقام حضرات السادة الافاضل قرمان وديك وسلطي في حيفا وانشأوا شركة وطنية عام ١٩٢١

وكذلك قام الخواجه بدور وانشأ ايضاً معملا للسجاير والدخان وسار هؤلاء في عملهم سير الجد النشيط وما زالوا يعملون حتى زاحموا شركات السجاير الاجنبية وتفوقوا عليها بجودة الاصناف والابتعاد عن الغش مع بخس الاثمان وقد أقبل الوطنيون على مساعدة هذه الشركات اقبالاً عظيما فتوفرت لها الارباح

و يظهر أن الحكومة هناك لم ترق في نظرها هذا النجاح الذي صادفته هذه الشركات الوطنية و بدلا من أن تنشطها قيدتها بالاصفاد والاغلال وضيقت عليها الخناق وضايقتها مضايقة شديدة ولولا نشاط القائمين بتلك الشركات وثباتهم وصبرهم على المكاره لماتت تلك الصناعة الرابحة النافعة

وايضاحاً لذلك نسرد أنواع المصاعب والمراقيل التي وضعتها الحكومة في وجه معامل الدخان والسجاير فنقول :

(١) فرضت على كل معمل مبلغ خمسين جنيهاً رسم رخصة يدفعها كل سنة وهذا مما لم يسمع به في بلد من البلاد لان المعلوم المتعارف أن التصريح يعطى مرة واحدة

(٢) عينت الحكومة ساعات العمل من ٧ — ١٢ ص ومن ١ — ٤ بعد الظهر واذا اضطر المعمل احياناً للعمل من ٦ ½ ص الى ٦ ½ مساء فان صاحب المعمل يضطر بالطبع الى دفع فرق الوقت للعمال و يدفع علاوة على ذلك لموظفي الحكومة المراقبين عن كل ساعة ٢٠ قرشاً فيبلغ قيمة ما يدفعه احياناً ٦٠ أو ٧٠ قرشاً يومياً لموظفي الحكومة

(٣) عينت الحكومة في كل معمل موظفين أو ثلاثة يراقبون حسابات المعمل وارداته وصادراته مع ضبط الحزام (البندرول) الملصق على الباب لان كل علبة سجاير تطوقها الحكومة بطوق من الورق ثمنه نصف قرش صاغ وتتقاضى جمركا على كل كيلو ٢٥ قرشاً ثم أن مفاتيح المعامل مع موظفي الحكومة يفتحونها و يقفلونها في أوقات محددة وكذلك في ايديهم مفاتيح مخازن الدخان والعنباك المخزون فاذا اراد صاحب المعمل اخذ كمية من الدخان يجب عليه ان يقدم عريضة للحكومة قبل الاستلام بيوم فتعطيه تصريحاً خاصاً يدفعه لموظفي الحكومة الجالسين على عنقه فيسلمونه الكمية المطلوبة وكذلك اذا اشترى صاحب المعمل كمية من الدخان فلا يستطيع ادخالها الى مخازنه الا بتصريح خاص والموظفون يقيدون الكميات الداخلة فاذا وجدوها يوماً ما ناقصة يفرضون غرامات مختلفة على صاحب المعمل ولا يخفى ان التبغ اذا مكث طويلا يجف ويخف و ينقص وزنه وفي مثل هذه الحالة يكون اصحاب المعامل معرضين دائما ابداً للغرامات .

وقبلا كانت الحكومة تتقاضى رسوم التبغ المزروع من الفلاحين بأن تأخذ على الكيلو الواحد ٤٠ قرشاً فتركت هذه القاعدة وجعلت تتقاضى الرسوم من أصحاب المعامل بنسبة الكميات التي يشترونها أي ٢٥ قرشاً للكيلو الواحد كما قدمنا وغاب عن الحكومة بأن أصحاب المعامل لا يشترون التبغ الخام الا بأثمان منخفضة حاسبين حساباً للرسم الذي يدفعونه للحكومة فأضرت الفلاح من حيث أرادت نفعه ودعوى الحكومة في ذلك انها بهذه الطريقة تستطيع منع التهريب في البلاد ولم نسمع بأن حكومة من الحكومات سارت على هذه القاعدة العوجاء الشوهاء والذي نعلمه انه لدى الحكومة المصرية مصلحة تسمى (مصلحة خفر السواحل) تأخذ على عاتقها مطاردة المهربين ومنع التهريب

زرنا في خلال رحلتنا في فلسطين معمل حزبون الشهير الواقع في ضواحي القدس فعلمنا أنه تأسس سنة ١٩٢١ وأن فيه موتوراً خاصا كهربائياً ويعمل

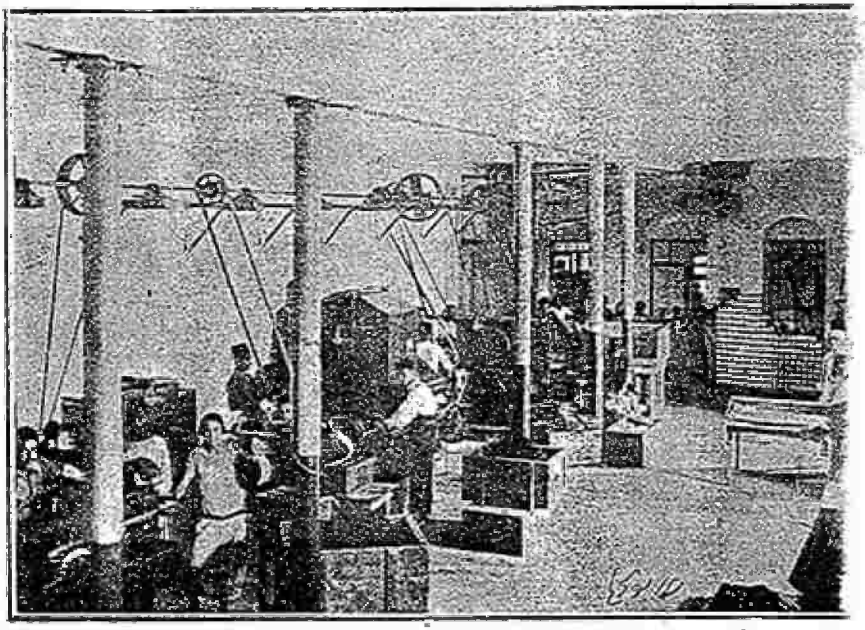

ماكنة لف السجاير . وفرم الدخان واستخراج النيكوتين في معمل حزبون

فيه ٨٠ عاملة مسيحيات ومسلمات وطنيات و ٢٠ رجلا من الوطنيين وسألنا بعض العاملات عن حالهن فأجبن أنهن ممنونات لصاحب المعمل ومرتاحات لمعاملته العادلة لهن وفي المعمل ما كنة خاصة لاستخراج النيكوتين المادة المضرة في الدخان لم أر مثيلا لها في معمل آخر وفيه قاعة فسيحة لتعبئة السجاير والمعمل عالي البنيان شاسع المكان وأشهر أنواع سجاراته « الجميل» وهو صنف منتشر انتشاراً واسعاً وهاك رسوم بعض عدده

قاعة تعبئة علب السجاير بمعمل حز بون

وزرنا في نابلس شركة الدخان والتنباك الوطنية فقابلنا حضرة مديرها الهمام الشيخ شكري افندي فخر الدين بما عرف به من اللطف وحسن الذوق وعلمنا منه أن الشركة مؤلفة من حضرات الافاضل الاتية اسمائهم وهم: الحاج عبدالرحيم افندي النابلسي وقاسم افندي كمال وطاهر افندي المصري وعبد الفتاح اغا طوقان وعبد الرحيم افندى التميمي وحسن افندي عرفات وصادق افندي كنعان وعثمان افندي الخياط والشيخ شكري افندي فخر الدين ورأسمال هذه الشركة

سنة آلاف جنيه مصرى مقسمة الى ثمانين سهما قيمة السهم الواحد ٧٥ ج .
وقد زادت الشركة رأسمالها مبلغ ٤٥٠٠ ج وللشركة قانون مطبوع وزعته على مساهميها وأشهر انواع سيجاراتها هي : الدواني والمفتخر والنسيم والممتاز وقد نالت الجائزة الاولى فى معرض نابلس الزراعي سنة ١٩٢٤ وذلك رسم مجلس ادارة هذه الشركة النشيطين الافاضل الوطنيين

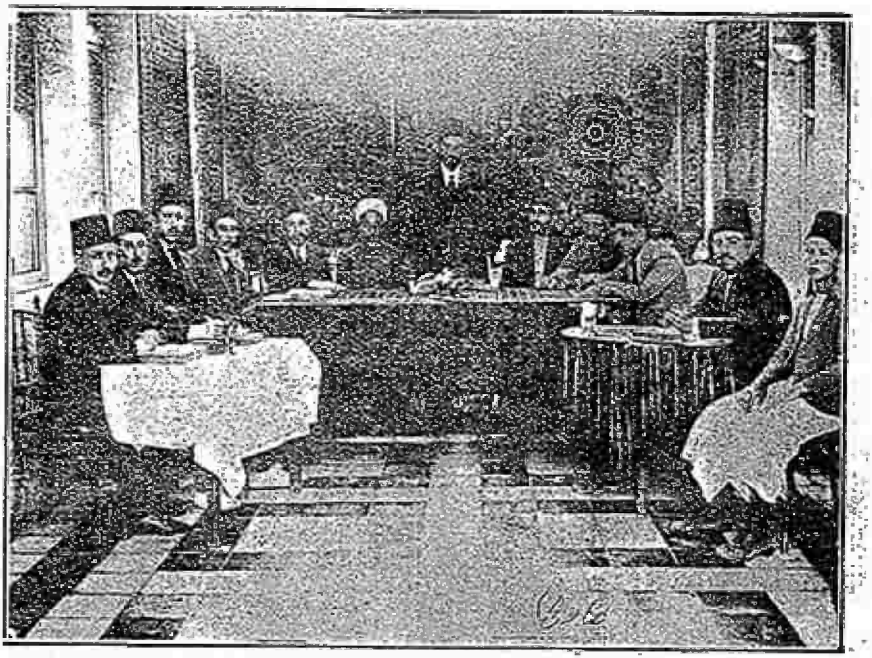

مجلس ادارة الشركة الوطنية بنابلس وفى الوسط واقف حضرة رئيسها
الحاج عبد الرحيم افندى النابلسي

وزرنا فى حيفا معمل الدخان والتنباك والسجاير الوطني لأصحابه قرمان وذيك وسلطي وهو معمل واسع جداً تأسس عام ١٩٢١ وفيه ١١٠ عمال وطنيين و ٢٠ عاملة وعدده كبيرة مستوفاة تخرج مقطوعية كبرى كل يوم واشتهرت سيجاراته بجودة اصنافها ولذتها وقد عرضت فى معرض ومبلي بالندرة فحازت الاستحسان والاقبال المزيد واشهر سيجاراته اوتومان وميروك وقد انتشرت

منقطوعية دخانه وسيجاراته في جميع انحاء فلسطين وشرقي الاردن انتشاراً هائلا وزاحمت أكثر الشركات الاجنبية وذلك بهمة اصحابها الافاضل الذين يبذلون كل ما في وسعهم لترويج صناعتهم واتقانها مع مهاودة اسعار منتوجاتها

وانا والحق يقال سررنا سروراً عظيماً لاقدام الوطنيين على هذه الصناعة الرابحة التي يشتغل فيها مئات من العمال الوطنيين ونسأل الله القدير ان يشد ازر اصحابها و يسدد خطواتهم انه على كل شيء قدير

. . . . ما تمنا وأفراحنا ؟ !

. . . حدثت « وفاة » بجوار ازني : هأنذا اسمع « الصوات » وقد ارتفع واكن صدقوني : انه لا ينم عن حزن عميق . بل كأني اسمع واشهد مسابقة في « الصوت العالي » وفي « طول النفس ... »

دعونا من هذا وتعالوا معي افرجكم على «حلقة» تشبه والله «حلقة الرقص» وقد بدأت معركة « اللطم والنطح» على نغمات «المعددة» ؟ ! . . .

« المعددة وما ادراك ما «المعددة» : مخلوقة تشم الاموات شما ، فهي اسرع من الموت اليهم ، وهي اول زائرة «تطب» بيت المتوفى قبل الابناء والبنات والعمات والخالات . والاخوة والاخوات !

حاولت يوم وفاة احد اعزائي ان امنع « المعددات والندابات » فوضعت خفراً على الابواب وعلى رؤوس الطرق . وجعلت نفسي رئيساً على الخفراء ارقب «كل داخل وداخلة .. فلم تمض ثانية او ثانيتان حتى سمعت صوت «الندابة» الاولى» يعقبه صوت «الندابة الثانية» يتلوه صوت «الندابة الثالثة» فكأنهن سقطن من السماء ، او تفجرن من الارض ؟ ! ؟

«الندابة» لا ترثي ولكنها « تغني » غناء بنغمات . و «محطات» ؟ ! ولكل واحدة من قريبات المتوفى « دور » يناسبها ! فلام المتوفى المجوز طقطوقة ـ ولابنته طقطوقة ـ ولكل من الزائرات طقطوقة تناسبها . . . فتبكيها؟!

وليس اثقل على النفس من دلال «الندابة» في نغماتها وتموجات صوتها . وسخافة وسماجة تعبيراتها . والاثقل من هذا على النفس ان تسمع اصوات النحيب المتكلف المصطنع عقب كل «وصلة »